العقلانية التواصلية كحل لمساوئ العقلانية الأداتية

*بن ناصر حاجة

" بخلاف الفعل العقلي بالنسبة إلى غاية ما، يتجه الفعل التواصلي حسب إتباع المعايير الجاري بها العمل بيذائيا خاصة وترتبط هذه المعايير بتوقعات تكاملية للسلوك "[1]

ملخص:

Jürgen Habermas est l'un des piliers de la pensée philosophique allemande qui ont rendu la réalité et la société un champ d'étude par excellence tout en faisant un jumelage entre la philosophie et la réalité .

La philosophie critique est une philosophie libératrice qui veut extraire l'homme de tous les inconvénients du capitalisme et du totalitarisme .

مقدمة:

يورغن هابرماس هو واحد من أهم أعمدة الفكر الفلسفي الألماني الذين إستطاعوا بإنجازاتهم الفلسفية وإسهاماتهم الفكرية أن يشقوا طريق العلم والمعرفة، ويجعلوا من الواقع والمجتمع أرضية خصبة لطرح قضايا إجتماعية، وسياسية وإنسانية من شأنها أن تؤسس لتنوع فكري شامل متجدد باستمرار وفتح الآفاق للسؤال الفلسفي والمزاوجة بين الفلسفة والواقع، ولعل من الدوافع التي دفعتنا لإنجاز هذا البحث هو تفعيل دور الفلسفة النقدية، باعتبارها فلسفة تحررية مخلصة للإنسان من ضمار و مأساة الأنظمة الرأسمالية والشمولية، وهيمنة نظام الأمركة على العالم أجمع، علما أن رواد مدرسة فرانكفورت سواءا الجيل الأول أو الثاني، جيلا مخضرما بين الواقع الألماني وإنتكاساته والواقع الأمريكي وإيديولوجيته، وإذا كان الجيل الأول للمدرسة إشتغل على الماركسية وعلى قمع الحضارة الغربية وإتخذ موقفا سلبيا من العقلانية الأداتية التي أنتجتها التقنية وكذا النزعة الوضعانية، فإن الجيل الثاني من المدرسة والممثل بيورغن هابرماس إستطاع أن يضمد الجراح ويؤسس لوئام إجتماعي بإمكانه أن يخلص الفلسفة من إنسداد الأفق الذي شكلته العقلانية الأذاتية وكسر الحواجز التي

* أستاذة مساعدة، قسم أ، بجامعة بن خلدون تيارت.

[1] يورغن هابرماس "بعد ماركس "، تر: محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية، سورية، ط1، 2002، ص 46.

تقف كعائق أمام تفعيل الحوار بين أفراد الجماعة الواحدة وحتى الجماعة الكونية ولقد وجد هابرماس ضالته في فعل التواصل وفي المنعرج اللغوي الذي شكل القاعدة الأساسية والمحورية لنظريته حول الفعل التواصلي، بل في نسق فلسفته كلية بإعتبار التواصل القلب النابض للمجتمع بل إلى أبعد من ذلك يمثل العمود الفقري للدولة الكونية. فكيف استطاع بلورة فلسفته التواصلية، وما المقصود بالتواصل وما هي حدوده؟

من غير الممكن الحديث عن الفعل التواصلي وإشكالية التواصل دون الحديث عن المسار الذي إتخذه هابرماس والطريق الذي شيّده لتأسيس نظريته حول المعقولية التواصلية، فبراديغم التواصل بدأ في التشكل منذ المرحلة الأولى لفلسفته بدأ ينقده للنزعة الوضعانية، وكذا العقلانية الأداتية، وترميم الحداثة الغربية التي لم تنجح في تحقيق أهدافها المسطرة مما يقتضي إعادة إحيائها وبعثها من جديد بتفعيل دور التواصل داخل البنية الاجتماعية.

وترجع أصول النظرية التواصلية الهابرماسية إلى النظرية النقدية التي عمل على تطويرها من خلال تكليف الفلسفة بمهام جديدة على غرار المهام الأولى التي أسندت إليها من قبل قلم يمل من إعادة تعريفها في ضوء ما شهدته المجتمعات الأوروبية من تغيرات وهذا ما طرحه في كتابه جوانب فلسفية وسياسية.

Profils philosophique et politique، "ما الفائدة من الفلسفة" وفي كتابه "بعد ماركس "Apres Marx " في الجزء الخاص: " بدور الفلسفة داخل الماركسية "، لقد تمكن من توجيه الفلسفة للقيام بمهمتها النقدية، بل أضحى فعل الممارسة النقدي أهم مجال لها، وخلص إلى فكرة مفادها المزاوجة بين الفكر النقدي والواقع الاجتماعي ولن يتحقق هذا الهدف، إلاّ إذا إستطاعت الفلسفة أن تتخلص من طابعها الشمولي المتعالي، وتكف عن البحث عن المطلق لأنه لم يعد من مهامها " تؤدي الفلسفة في رأيي مهمة الكشف عن شمولية الفكر التي تهدف، إذ تكوّنها العلوم إلى المعرفة الموضوعية، مثل شمولية المبادئ التي تحكم الممارسة العقلية للحياة غير القابلة للشرعنة فقط بل للتبرير "[1] واستقى مفهوم النقد من الجيل الأول للمدرسة فإستفاد من كتاب " الجد السلبي " لأدورنو تيودور، " والإنسان ذو البعد الواحد " لهربرت ماركيوز، و"النظرية التقليدية والنظرية النقدية" لماكس هوركهايمر، وكذا " جدل التنوير " كتاب مشترك لأدورنو و هوركهايمر. ومن فلاسفة الأنوار فلقد عمل " إيمانويل كانط " على ترسيخ مفهوم النقد ضمن منظومته الفكرية النقدية من خلال ثلاثيته "نقد العقل الخالص"، "نقد العقل العملي"، نقد ملكة الحكم إضافة إلى استثمار مفهوم السلب عند "هيجل"

[1] يورغن هابرماس " بعد ماركس "، تر: محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية، سوريا، ط1، 2002، ص 229.

كمفهوم نقدي فهابرماس " يدرج برنامجه الفلسفي منذ البداية ضمن ما يسميه " العقلانية النقدية " التي أرادها عقلانية تحررية، ولأجل تأسيس نظريته في الفعل التواصلي بدل هذا الفيلسوف جهودا جبارة في القراءة والاطلاع، والسجال والبناء "[1] وبناءا على هذا يمكن القول أن شخصيته شخصية فريدة من نوعها له القدرة على فهم واستيعاب أفكار وفلسفة سابقيه، وكذا معاصريه وفيلسوف نقدي بامتياز لا يكتفي بجمع آراء المفكرين وتحليلها بل بإخضاعها للنقد الصارم إنه قوي البصيرة عمل على مناقشة الأوضاع التي شهدتها ألمانيا وأوروبا عموما، وكذا أمريكا بحكم حياته في المنفى، فالقارئ للنصوص الهابرماسية المتقدمة منها، أو حتى المتأخرة يدرك موسوعية أفكاره وتشعب فلسفته بحكم معايشته سواءا من بعيد أو قريب لويلات الحكم النازي، فورث هذا الفيلسوف القلق الوجودي، إزاء الحياة، لكنه خلافا لهيدغير: "الحياة ليست مشروعا للموت وإنما هي موطن لبناء علاقات إنسانية، محكومة بقيم أخلاقية. وفضاء مفتوح أمام الجميع لتعزيز التواصل والاعتراف المتبادل.

ولهذا السبب دخل هابرماس في سجال قوي مع الفلسفة الوضعانية متتبّعا خطى الرعيل الأول لمدرسة فرانكفورت، فالوضعية غدت نظام معرفي مسدود الأفق. فهي تتضمن مفارقة بارزة فحواها أن النظام العلمي والمنهج التجريبي الاستقرائي هو النموذج الأمثل لكل العلوم، بل غدت تحمل طابعا إيديولوجيا، حاولت تقنين الحياة الإجتماعية. والقيم الإنسانية من خلال إخضاع الظواهر الإجتماعية لآليات دراسة الظواهر الطبيعية، فالمنهج العلمي الذي سخر لفهم الطبيعية والسيطرة عليها أسقط على الإنسان للتحكم فيه وبدى الإنسان وما يحمله من أبعاد إنسانية مختلفة إجتماعية ونفسية، وتاريخية ومن قيم كالعدالة والمساواة والحرية، وما يشعر به عواطف، إيماءات وانفعالات، مثله مثل أي ظاهرة مادية كانت، علاوة على إيمانها المطلق بقدرتها على إيجاد الحلول لكل الأسئلة والمشاكل التي يواجهها الإنسان سواءا كانت مادية أو إنسانية " إن نقد هابرماس للوضعية ينصب على تعبيرها الفلسفي كما على دورها الإيديولوجي، ذلك أن العلمي والإيديولوجي مثلا زمان في الوضعية المعاصرة، ثم إن الوضعية والنزعة التقنية تشكلان وجهين لنفس الوهم الإيديولوجي، بل إن الوضعية تسجل ما يسميه هابرماس بنهاية نظرية المعرفة[2].

[1] محمد نور الدين آفاية : في النقد الفلسفي المعاصر، مصادره الغربية وتجلياته العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص71.

[2] محمد نور الدين آفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، "نموذج هابرماس إفريقيا الشرق، ط 1، 1991، ص 62.

لقد سلبت الوضعية في نظر هابرماس القيم الإنسانية التي طالما دافع عنها الفلاسفة، ومجدوها خاصة فلاسفة عصر التنوير، وعاملت الإنسان كمعطى من معطيات التجربة العلمية، وأعلت من قيمة العلم والتقنية على حساب التفكير الفلسفي ولهذا السبب، عمل هابرماس على ربط المعرفة بالمصلحة وأعلن في كتابه " المعرفة والمصلحة " عن وجود ثلاثة مصالح تقابلها ثلاثة مجالات المعرفة هي:

1- المعرفة الامبريقية التحليلية: والتي تميز العلوم الطبيعية وتؤدي مصلحة معرفية تقنية هدفها السيطرة على الطبيعة تنظر إلى الوقائع على أنها معطيات التجربة، ومجالها معارف العمل « وأقصد بالعمل أو الفعل العقلاني الغائي إما فعلا أداتيا أو إختيارا عقلانيا أو مركبا من كليهما، ويهتدي الفعل الأداتي بالقواعد التقنية التي تقوم على معرفة تجريبية وتتضمن في كل الأحوال، تنبؤات مشروطة حول وقائع قابلة للملاحظة مادية أو إجتماعية »[1].

2- معرفة تاريخية تأويلية: وتؤدي مصلحة عملية، هذفها الاتفاق البينذاتي وتقوم أساسا على الفهم ومجالها معارف الفعل " أما نظريا تها، فليست مبنية إستدلاليا، والتجربة فيها ليست منظمة تبعا لنجاح العمليات، فالنظرية تكون متوضعة عند التقاطع بين آفاق النص والمؤول "[2].

3- مصلحة تحررية تمثلها العلوم النقدية من قبيل الماركسية والتحليل النفسي، ومجالها معارف التحرير، وحقيقة الأمر أن ما تسعى إليه المصلحة التحررية التي ستقود النظرية النقدية هو ذلك الجمع الديالكتيكي الذي يجمع بطريقة تأملية تلك الفضائل المتكاملة التي في كلتا المصلحتين "[3].

والدافع الذي جعل هابرماس يوحد بين المعرفة والمصلحة ويقسمها إلى ثلاثة مصالح هو تجاهل النزعة الوضعية للعقلانية التواصلية، وإيمانها المفرط بإنتاجات العلم والتقنية، أو كما يسميها الجيل الأول من المدرسة بالعقلانية الأداتية ولهذا السبب ميز هابرماس بين العمل والتفاعل، ونقد مفهوم العمل كما حدّده "كارل ماكس" فليس العمل هو ما يميز الإنسان بل التواصل المبني على اللغة أيضا.

علما أن هابرماس لا يقلل من قيمة العقل الأداتي ولا من إسهامات العلم والتقنية في تطوير الإنسان، وكذا في تسخير الطبيعة لصالحه، لكن ما يعيبه على العقلانية الأداتية هو

---

[1] يورغن هابرماس: "العلم والتقنية كريديولوجيا"، تر: إلياس حاجوج، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، د.ط1 1999، ص 88.

[2] آلان هاو: " النظرية النقدية"، تر: ثائر ذيب، دار العين للنشر، الإسكندرية مصر ، ط1، 2010، ص 88.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

سلطة هذه العقلانية، ومركزيتها خاصة العقلانية الغربية، « ولعل ما يميز هذا النقد العنيف محاولة الكشف عن العقلانية (بوصفها آلية للهيمنة والتسلط) التي يتطور بها العقل التقني تحت ستار العلم من أجل العلم وبدعوى الحياد والموضوعية العلمية»[1] ولقد إستند هابرماس إلى مفهوم العقلانية الفيبرية باعتبارها مقاربة خصبة لمفهوم الحداثة، فلقد تساءل "ماكس فيبر" عن السبب الذي جعل مفهوم العقلانية لصيقا بالغرب، ولماذا تحولت من أداة تحرر إلى أداة إستعباد أليست العقلانية التي نتحدث عنها هي العقلانية التي إتخذتها فلسفة الأنوار سلاحا جادا وفعالا لمقاومة أشكال التسلط والعنف أليست هي المصباح الذي خلص فكر الإنسان من ظلمات الأوهام والأساطير؟ « إنطلق هابرماس من ذلك السؤال الموجه والمحوري، الذي حيّر فيبر ألا وهو البحث عن السبب الذي جعل التطورات العلمية الفنية، السياسية والاقتصادية، لا تحدث إلا وفق نمط العقلنة الخاص بالغرب؟ ليصل في نهاية تحليلاته إلى أن هناك صلة داخلية وضرورية بين الحداثة والعقلانية الغربية »[2].

وخلص كل من تيودور أدورنور و ماكس هو ركهايمر أن سيطرة الإنسان على الطبيعة وهيمنة العقلانية الغربية، يولد الشعور بالخوف من المستقبل المجهول، والعيش في قلق إزاء الوجود، « فالرغبة الشديدة في الهيمنة على الطبيعة، تخلف في الإنسان، خوفا يائسا من المجهول لذلك تنشأ القدرة على التفكير العقلاني كرد فعل على هذا الخوف »[3]. فالخوف ليس شبيها للإنسان بل هو دافعا لتنشيط القدرات العقلية، ولتصويب الفكر نحو إيجاد حلا للعقلنة الغربية ومأساة العقلانية الأداتية، ولهذا دعا ثيودور أدورنو إلى تفعيل دور الفن لمجاوزة هذه العقلانية. لكن الفن الثوري، لا الفن الذي استخدم كمجرد وسيلة للتسلية والترفيه والذي فقد أصالته لامتزاجه بالثقافة المصنعة من قبل الطبقة البورجوازية.

ويعقد هابرماس مصالحة مع العقلانية الأداتية لأنه مهما يكن ليست هذه العقلانية سلبية بالمرة بل لا تزال تحتفظ بمنجزاتها الإيجابية، فبالإمكان الاستفادة من العلم والتكنولوجيا، من أجل توطيد، وتمثين العلاقات الاجتماعية وترسيخ الفعل التواصلي وترشيد الحوار والنقاش وإقامته على أخلاقيات تواصلية، للحد من الأضرار والنكبة التي نجمت عن

[1] حسن مصدق: " يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت،" النظرية النقدية التواصلية " المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005 ص 37.

[2] جميلة حنيفي: يورغن هابرماس، من الحداثة في المعقولية التواصلية، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، د.ط، 2016، ص 17.

[3] محسن الخوني "التنوير والنقد، منزلة كانط في مدرسة في فرانكفورت، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2009، ص 220.

إنتكاسات العقلانية الأداتية " يتميز العقل التواصلي بقوة التماسك، الملازمة للوفاق بين الذوات وفي الاعتراف المتبادل، ويحدد بذلك عالم حياة إجتماعية "[1].

وإذا ما قارنا نقد رواد الرعيل الأول من المدرسة خاصة ثيودور أدورنو وماكس هوركهايمر بنقد هابرماس نجده أقل حدة وصلابة من سابقيه ذلك أن إنحرافات العقلانية الأداتية ووقوعها في مزالق ليست في مأمن من الخطر لا يرجع إليها بحد ذاتها، بل إلى الإنسان الذي أساء إستخدامها، إنه عقل مستغل من قبل المنظرين الاقتصاديين، ومن قبل السلطة السياسية بإيديولوجياتها المهيمنة على العقول، ليتحول هذا العقل إلى أداة ووسيلة للتحكم في الإنسان أيضا إضافة إلى الطبيعة، ويتحول إلى سلعة أو آلة تسير بأجهزة الضبط والتحكم عن بعد والخطأ الذي وقع فيه كل من هو ركهايمر وأدورنو هو عدم فصلهم بين العقلانية الأداتية والكوارث التي رافقت ظهوره متجاهلين تماما عطاءاته الإيجابية وإسهاماته البالغة الأهمية على المستوى العلمي والتقني والصناعي.

وما التواصل الناجم عن أجهزة الاتصال المختلفة كالأنترنت وغيرها، إلاّ أحد الإفرازات الإيجابية، لهذا العقل، ومنه يتضح أن نقد هابرماس كان أكثر عقلانية وإتزانا وحكمة.

ولتجاوز نقائص العقلانية الأداتية، وتطهيرها مما لحقها من إنتقادات وترميم ما هدم منها حدد الإطار الذي ينبغي للعقل أن يعمل وفقه من خلال تحديد دور الفلسفة باعتبارها المنقذ لهذا العقل واقترح عقلا بديلا ألا وهو العقل التواصلي وكأساس لنظريته حول الفاعلية التواصلية « فقد حاولت في إطار نظرية الفعل التواصلي إرساء معقولية، سلكوية مفادها أن شخصا معينا ومهما يكن محيطه الاجتماعي ولغته وشكل حياته الثقافية فإنه ليس بمقدوره عدم الانخراط داخل الممارسات التواصلية، ومن ثمة لن يكون في مقدوره كمحصلة أن لا يبدي إهتماما ببعض الافتراضات التداولية، نعتقد بأنها ذات منحى عام »[2].

ولهذا تكتسب الفلسفة الهابرماسية، ونظريته حول الفعل التواصلي وموقفه من العقلانية، قيمة لا مثيل لها بعقلنته للعقل الغربي، والحداثة ودعوته للتفكير في سبب فشل العقل الأنواري في تحقيق أهدافه.

ولذلك دخل في سجال قوي مع فلاسفة ما بعد الحداثة، خاصة جاك دريدا وميشال فوكو، وجون فرانسوا ليوتار، وحجته في ذلك هو أن هؤلاء، لم يتمكنوا من التفكير فيما هو

[1] يورغن هابرماس: « القول الفلسفي الحداثة »، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، د.ط، 1995، ص 497.

[2] يورغن هابرماس : " إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة "، تر: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون،لبنان، ط1، 2010م، ص 30.

كائن بل فيما يجب أن يكون، فلم تسائل فلسفتهم الأسباب والدوافع التي جعلت العقلانية الغربية مركز السلطة والهيمنة، ولماذا لم تف بوعودها " هذا العقل يبدو اليوم حسب الفلسفات ما بعد الحداثية الأداة المعرقلة في فهم الواقع مستندة في ذلك إلى كون أن الفلسفة العقلانية تلك لم تف بما وعدت به الإنسانية من حرية وموضوعية وعمومية، بل على العكس من ذلك خلقت العقلانية تلك شروط الفوضى، فنلاحظ إنتشار الحروب وأشكال العنف (....) والدوس على مفهوم العمومية والعالمية "[1]

وقد وجد هابرماس في النقد البديل الكافي، لمعالجة أزمة الحداثة، بدل التخلي عنها بحجة سلبيات العقلانية الأذاتية ودعى إلى مجاوزة فلسفة الذات وفلسفة التأمل بعدما هيمنت على الفلسفات السابقة إلى فلسفة التواصل ما دام النقد يعتمد على أساس لغوي ومن ثم إعادة الاعتبار للنقد الأنواري بإخراج طاقاته الإيجابية الكامنة فيه.

وتدعو العقلانية التواصلية جميع الذوات المنتمية إلى العالم المعيش إلى الحوار والنقاش العقلاني، المبني أساسا على أخلاقيات إجرائية لا أخلاقيات نظرية كما نظرت لها الفلسفات السابقة، وتحقيق الفهم المتبادل بين مختلف الأطراف المنتمية والمشاركة في عملية الحوار فأكد على " التفاعل الداخلي بين الذوات والتفاعل اللغوي في الحوار حيث يصبح للأفراد القدرة على القول والتواصل والفعل، وبالتالي فهم العالم المعيش لا عن طريق العلم والتقنية فحسب بل والفلسفة التي تقوم بدور الوسيط المفسر، وتجديد صلتها بالكلية لتسهم في عملية التفاعل والممارسة الأخلاقية والتعبير الجمالي "[2].

ويعد التواصل في نظر هابرماس الحل الأمثل للمشاكل التي إستفحلت الواقع المعاش والدواء الشافي لمرض البيروقراطية والرأسمالية التي هدّدت كيان الإنسان وزعزعت عرى التواصل منطلقا من وجوب تشخيص الداء من أجل تحسين إمكانيات المشاركة الحوارية وسد كل ثغرة تقف كعائق أمام تحقيق الإجماع البشري " ففي مقدمة الأخطار التي تواجه المجتمع اليوم، بغض النظر عن الأمن السياسي، تحطيم بنيات التواصل في خصوصياتها الإنسانية التي ترتبط بالتوسع المستمر للبيروقراطية في ميادين الحياة الاجتماعية، إضافة إلى تدخلات القوانين والمصالح حتى في الحياة العائلية الخاصة "[3].

---

[1] محمد بوجنال: الفلسفة السياسية الحداثة، ومابعد الحداثة، شرط فهم صراعات الألفية الثالثة، دار التنوير، بيروت، لبنان، د.ط، 2016، ص44.

[2] إبراهيم الحيدري: " النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة "، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 251.

[3] المرجع نفسه، ص 263.

إن عملية التواصل مشروطة بالتنشئة الاجتماعية وبالاندماج الاجتماعي، وباللغة كأداة للتفاهم ووسيلة لتجنب كل أشكال العنف والتطرف، بحيث يلعب الحوار الدور المركزي في تحقيق هذا المشروع، ولا بد من التنبيه أن هابرماس لم يصل إلى التنظير للمشروع التواصلي من العدم أو الفراغ وإنما وجد في نظريات سابقيه أرضية خصبة لنمو واكتمال هذا المشروع سواءا كان ذلك بإستلهام أفكارهم أو نقدها.

فاستقى وظائف اللغة من هومبولدت، متجاوز الوظيفة التقليدية بالوظيفة الاجتماعية للغة، فهو مبولدت استطاع ربط النظرية الاجتماعية باللغة " ويعتبر هابرماس تصور العالم المعيش المشكل بواسطة اللغة كفضاء خلفي للمارسة اليومية للتواصل إنجازا مهما قام به هومبولدت لأنه إستطاع بواسطته أن يربط النظرية الاجتماعية بنظرية اللغة "[1].

كما استفاد من نظرية " هربرت ميد "، من خلال نظريته حول التفاعلية الرمزية، والتي حلل فيها كيفية الانتقال من التفاعل الذي قيم بواسطة حركات وهو التفاعل الموجه بالغريزة إلى التفاعل الذي يتم بواسطة الرموز واللغة والمحكوم بمعايير وأن سلوكات الأفراد والمعبر عنها بواسطة اللغة، هي حصيلة التفاعل بين الفرد ومجتمعه " وأبدى هابرماس إهتماما بنظرية " ميد " في التنشئة الاجتماعية، وبرهنة أن الكفاءة التواصلية ضرورية لتحقيق هوية كاملة للآنا، لكنه ركز على اللغة كوسيط لتنسيق الفعل وتنشئة الأفراد إجتماعيا، ولم يحلل عملية اللغة كوسيط لتبادل الفهم، وهو مستوى أكثر إرتفاعا من المستوى الأول "[2].

فهدف التواصل ليس إقامة الصلة بين الذوات وإنما تحقيق التفاهم والاتفاق بين فاعلين أو أكثر من دون ضغوطات، وفتح المجال لحرية التعبير، ولتواصل ديمقراطي من دون التشكيك في الرأي ومن أجل ذلك دعى هابرماس إلى ضرورة التقيد بشروط ومعايير لتحقيق التفاهم والتفاعل بين الذوات وكذا الاندماج الاجتماعي، وهي المعقولية، الصدق، الحقيقة، المحاججة.

ويقصد بالمعقولية أن تكون القضية المطروحة للنقاش معقولة، والصدق، ويعني به صدق نوايا المتحدث دون كذب أو زيف، أما عن الحقيقة، وتعني وجود القضية المطروحة للنقاش في العالم الواقعي، المحاججة أي تبرير القول والنوايا، وقبول الرأي مبني على أقوى حجة " فنجاح الفاعلية التواصلية يتوقف إذن على أن يتوصل المشاركون إلى إتفاق متبادل حول تحديد علاقاتهم بالعالم، ونجاح التفاعل هو الوصول إلى إجماع بين مختلف المشاركين

[1] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، مرجع سابق، ص 146.

[2] جميلة حنيفي، يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، مرجع سابق، ص 170.

على مزاعم الصدق المدعمة بالحجج والبراهين العقلية "[1]. وكل هذا يحدث ضمن العالم المعيش باعتباره وسط التقاء المرسل والمرسل إليه، المتكلم والمتلقي، والمتكون من المجتمع، الثقافة، والشخصية ويحقق هذا العالم تماسكه وعدم تفككه من التكامل الوظيفي للبنيات التي تركبه، وكلما كانت هذه البنيات عرضة للتغيير تغير المجتمع ككل " بحيث يعاد بناءه بالاستخدام الأمثل للمعرفة، وباستقرار المجتمع، وتحقيق الاندماج بين أفراده، وبتكوين أفرادا وفاعلين يملكون القدرة على الكلام والفعل، وقادرين على تحمل مسؤولياتهم وتحقيق ذواتهم، وتأكيد هوياتهم "[2].

خاتمة:

إن تحقيق عملية التواصل تقتضي تفعيل دور النقاش والحوار المبني على دور اللغة، وعلى أسس عقلانية، وعلى أخلاقيات النقاش المبنية على عدم إدعاء الحقيقة وإمتلاكها دون الآخرين، ولا يمكن إدعاء صلاحية المعايير ما لم يتفق حولها المشاركين في عملية التفاهم ومن دون عالم معيش معقلن وهو مجال ننظم فيه عملية التفاعل ومن ثم نقول أن العقلانية التي إقترحها هابرماس كبديل أو كحل علاجي للداء الذي استفحل في العقلانية الأداتية هي عقلانية إجرائية تطبيقية تستند إلى المجتمع وتنطلق منه ولإنجاح هذه العملية رأى ضرورة ممارسة الديمقراطية، لكن الديمقراطية التشاورية لا اللبيرالية ولا الجمهورية، إنها الديمقراطية التي تقوم على مبدأ التشاور بين جميع الفئات المشكلة للفضاء العمومي، فلا غرابة أننا نجده في كتاباته الأخيرة يهتم بالجانب السياسي، أي من الاندماج الاجتماعي إلى الاندماج السياسي، وهذا لتطوير ، إتيقا النقاش وتفعيل دور التواصل بين الذوات دون النظر إلى جنسياتهم أو لغاتهم بل الكل مدعوا للتواصل والحوار وعليه نقول عنه أنه تواصل كوني يتعدى الجماعة إلى العالم أجمع.

قائمة المصادروالمراجع:

قائمة المصادر:

1) يورغن هابرماس "بعد ماركس "، تر: محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية، سورية، ط1، 2002.

2) يورغن هابرماس: "العلم والتقنية كريديولوجيا"، تر: إلياس حاجوج، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، د.ط1 1999.

[1] أبو النور حمدي أبو النور حسن: " يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل " دار التنوير للطباعة والنشر، د.ط، 2009، ص 153.

[2] عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، شركة الجلال للطباعة الاسكندرية، مصر، د.ط، 2002، ص 117.

3) يورغن هابرماس: « القول الفلسفي للحداثة »، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، د.ط، 1995.

4) يورغن هابرماس : " إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة "، تر: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون،لبنان، ط1، 2010م.

قائمة المراجع:

1. محمد نور الدين آفاية : في النقد الفلسفي المعاصر، مصادره الغربية وتجلياته العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2014.
2. محمد نور الدين آفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، "نموذج هابرماس إفريقيا الشرق، ط 1، 1991.
3. آلان هاو: " النظرية النقدية"، تر: ثائر ذيب، دار العين للنشر، الإسكندرية مصر ، ط1، 2010.
4. حسن مصدق: " يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت،" النظرية النقدية التواصلية " المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
5. جميلة حنيفي: يورغن هابرماس، من الحداثة في المعقولية التواصلية، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، د.ط، 2016.
6. محسن الخوني "التنوير والنقد، منزلة كانط في مدرسة في فرانكفورت، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2009.
7. محمد بوجنال: الفلسفة السياسية الحداثة، ومابعد الحداثة، شرط فهم صراعات الألفية الثالثة، دار التنوير، بيروت، لبنان، د.ط، 2016.
8. إبراهيم الحيدري: " النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة "، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2002،.
9. أبو النور حمدي أبو النور حسن: " يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل " دار التنوير للطباعة والنشر، د.ط، 2009.
10. عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، شركة الجلال للطباعة الاسكندرية، مصر، د.ط، 2002.